في سجن عمان

وتبدأ الرحلة بنقل زيادين مع عدد كبير من قادة الحزب الى سجن عمان. في البداية حشروهم جميعا في كهف السجن الذي لا يدخله الهواء، فأدركوا انهم هالكون، فأخذوا يصرخون، فجاء الضباط ونقلوهم الى «زنازين ٢٥» المعروفة بقذارتها والتي يوضع فيها المحكومون بالاعدام قبيل تنفيذ الحكم فيهم. وبعد أيام، وفي فترة التنفس، احتجوا ورفضوا العودة الى الزنازين، وحاول مفتش السجون تغيير الوضع «لكن الامر كان قد خرج من يده، ومن يد كل الجنود والضباط الاردنيين فيما يتعلق بالسجون» (ص١٠٨).

وبعد نضالات مريرة تم نقلهم الى قسم «الادخال»، وهو مكّون من ثلاث غرف صغيرة يحيطها سور مرتفع. وفي الادخال مكثوا بضعة شهور عاشوا خلالها تجربة بالغة القسوة. فغرفة التحقيق التي يشرف عليها الخبير الالماني النازي تقع فوق رؤوسهم، و «كنا نشاهد رفاقنا يدخلون والجنود يحيطون بهم من كل جانب، وبعد لحظات يبدأ الصياح فالضرب فالعراك – كل ذلك فوق رؤوسنا بالضبط – ثم نرى رفاقنا بعد فترة، مجرورين على الارض وعلى الدرج والدماء تنزف من وجوههم ورؤوسهم وثيابهم ممزقة، ليقذفوا بهم من جديد في الزنازين، او في القبر حيث يكبلونهم بالحديد من ايديهم وأرجلهم ويثبتونهم بالحلقات الحديدية في الجدران» (ص١٠٩).

في هذه «المجزرة» استشهد المناضل الشيوعي عبد الفتاح تولستان تحت التعذيب، وفي اليوم التالي باشر المحققون عملهم كأن شيئا لم يحصل. وفي هذه اللحمة ضعف العديد من المناضلين وجن بعضهم من هول التعذيب أو بسبب انهياره امام الجلادين.

«مرت شهور ونحن على هذا النحو، نسينا فيها أوضاعنا، وتعلقنا بأولئك القادمين من الجفر» (ص١٠٩).

لقد ساءت حالتهم الصحية، وقرروا الاضراب عن الطعام في محاولة لتحسين ظروفهم، ودام الاضراب ٢١ يوما. ويصف زيادين كطبيب ومجرّب حالة المضرب عن الطعام: «في الخمسة أيام الاولى تشعر بألم الجوع يمزق معدتك وأمعاءك وخصوصا في مواعيد الاكل المعتادة» و «في هذه الايام تنحصر افكارك وكل احساساتك بالطعام، يصبح النوم عملية شاقة، واذا تذكرت الطعام شعرت بتقلصات في معدتك مصحوبة بألم لا يطاق». و «تصبح رائحة الفم كريهة جدا، لكنك لحسن الحظ تفقد حاسة الشم». و «بعد اليوم الخامس تفقد المعدة حركتها وتسترخي فيخف الالم تدريجياً حتى تفقد كلياً الشعور به، وتزداد رائحة الفم والمعدة والامعاء الى درجة التعفن. يزداد الجسم هبوطا وتشعر بالغثيان والدوخة، وتجد صعوبة في حفظ توازنك عند الوقوف او المشي» (ص١١٠).

لكن الخبراء الفاشيين رفضوا الاستجابة لاي من المطالب المتواضعة للمعتقلين، وهكذا قرر هؤلاء وقف الاضراب دون اية نتيجة، غير ان اخبار الاضراب وصلت للخارج، وهذا ازعج الفاشيين فبدأوا يخططون لارهاب اكثر بشاعة، فتم نقل المضربين الى سجن الزرقاء العسكري وذلك في حزيران (يونيو) ١٩٦١.

في سجن الزرقاء العسكري

في سجن الزرقاء، تم وضعهم كل اثنين في زنزانة يصفها الكاتب: «مجردل للبول ومجردل للشرب، مصباح ١٠٠ شمعة يضيء ليل نهار، الحرارة فوق ٤٠ درجة مئوية، الفراش بضع بطانيات كريهة الرائحة، لا شمس، لا هواء، لا صحف، لا صوت بشري من حولك، الطعام سيء، الخبز رديء، الحلاوة مرّة، الزيت تعافه المكيفات، الحديث مع بعض من خلف الابواب المصفحة ممنوع، وهناك عقوبة السجن الانفرادي» (ص١١٢).

لكن الثوريين يستطيعون خلق منابع للعزيمة في افئدتهم الساخنة، «لقد استمر الغناء ورواية النوادر وقصص أبي زيد الهلالي يرويها «الخال» [لقب المناضل المرحوم خليل السالم] والعتابا والميجنا يطلقها فائق وزّاد».